مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية
المجلد (١٧) العدد (٤) نيسان (٢٠١٠)

المستعمل و المهمل في اللغة العربية

محمد صالح أمين آغا
كلية العلوم الإنسانية
جامعة السليمانية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنه صحيح ما جاء به ماريوباى في كتابه: لغات البشر: أن ((اللغة الوحيدة الصحيحة هي لغة الكلام)) [١] وأن هذه اللغة لها من الوظائف لكونها ((عملية منطقية فيما يختص بوظيفتها التي هي أساساَ تبادل الأفكار بين الناس)) [٢] لكنها مع ذلك فهي ((تخضع لمؤثرات اجتماعية عديدة، منها : الدين ، والفلسفة ، والسياسة، والحرب ، وما الى ذلك)) [٣] والأكثر تفصيلا في هذا المجال : ((...فدين أهلها (أهل اللغة) ...وحكومتهم ..وعلمهم.. وفنهم..وجِدُهم ولهوهم كلها.. وسواها تؤثر في اللغة وتوجيهها..)) [٤]

ومن هنا، فإن الحديث ينجرُ إلى ((شدّة حساسية اللغة ، وأنها في ذلك أدق الظواهر الاجتماعية، وأسرعها تغيّراً، وأحسّها تأثراً، فكُلُ نبْأَةٍ وهمسةٍ في حياة الجماعة التي تتكلم لغة تترك أثرها في هذه اللغة المتكلمة، وتغيّر من حالها ، وتحدث أثرها في تطورها)) [٥] معنى ذلك أن ((الحياة تشجع على تغيّر المفردات لأنها تضاعف الأسباب التي تؤثر في الكلمات..)) [٦]

وللغة قوانين تسير عليها وتتعلق بها ، حيث لاعبث، ولا فوضى،ولا إنفلات في أداء دورها، و واجبها، كما يؤشر إلى هذه الحقيقة الدكتور إبراهيم أنيس بقوله : ((للغة نظام تخضع له،وقواعد مقررة ؛ فليست فوضى، وليست من أشياء لا رابط بينها، فلها نظام معين في توزيع أصواتها ، ونماذج محدَدة في بناء كلماتها وجُملها)) [٧]

ومن جهة أخرى ، فإن من طبيعة اللغة ، أنها من خصوصيات الإنسان ومن سلوكياته، فمن هذا المنطلق يتبين أمر مهم وهو: أن للإنسان دوراً مهماً وكبيراً في اللغة وطبيعة اللغة ، أي

أنه بمزاولته لمفردات حياته وهو يستخدم اللغة ... اللغة تعمل ، وتزداد وتنمو ، وتصنع الحياة لنفسها ، وللإنسان الذي يستخدمها، فيقول بعضهم في اللغة: ((إن اللغة منذ نشأتها سلوك إنساني في مجتمع إنساني ، أي أن للإنسان دخلاً في تطوراتها وتغيّراتها)) (٨)

ولباحث آخر توجه آخر بهذا الصدد ، حيث يتعمق في الأمر أكثر ، فيقرر بأنه لولا الإنسان ، لما كان للغة وجود وحضور ملموس،فهي لا شيء إذا لم يمارسها أحد ما، ولذلك فإن واقع الإنسان ومجالاته المختلفة التي تتعامل اللغة من خلالها وتُمارس ، وتؤدي واجباتها تثبت هذا الأمر ، يقول الباحث: ((إن اللغة لا توجد خارج أهلها الذين يفكرون بها، ويتكلمون بها، فإن جذورها متأصلة في أعماق الضمير الفردي ، حيث تستمد قوتها لتورق وتزدهر على شفاه الناس)) (٩)

البشر واللغة يتغيران ، ويتجددان، وكذلك يتقادمان.. لأن اللغة تخْلَقُ كما تخْلَقُ الثياب.. الإنسان من خلال تتابع الأجيال يتغير ويتبدل، واللغة كذلك تصاحبه، فإنه((لو قُدّر للأسلاف القدامى العيش بين ظهراني أحفادهم لتعذر عليهم استيعاب الكثير من الكلام بسبب التطور الذي طرأ على الكثير من المفردات)) (١٠) ولذلك فإن ((توارث اللغة بين أجيال متكلميها يغير اللغة ، ويؤثر في تطورها)) (١١) كل ذلك –كما أشرنا إلى ذلك من قبل – إنما يعبَر عن شدة حساسية اللغة، حيث إنها تتأثر سريعاً، وهي أكثر الظواهر الإجتماعية تحسساً بالتغيرات . (١٢)

فحركة التغيير اللغوي في التهذيب والتنقيح استعمالاً وإهمالاً ثلاثية الجانب : حياة، ولغة، وإنساناً.

وحين نلتفت إلى العربية ، نرى أنها تشملها كل ما تناولها العلماء والباحثون واللغويون، بل وأنها تتصف بمزايا اللغة الراقية التي حملت أعباء الحياة والإنسان ، وكانت وما تزال صاحبة العرب في تأريخها الطويل، تؤدي واجباتها الحياتية للإنسان العربي عبر الحقب الطويلة.. رافقته في كل مراحل الصعود والهبوط، والتقدم والتغير والتطور، نظرا لتزودها الذاتي بالمواد اللغوية التي تُلبي جميع متطلبات الحياة اللغوية للفرد العربي والجمع العربي.

والعرب لم تألُ جهداً في أن تكون لغتهم راقية متطورة متقدمة تساير شؤونهم وحاجاتهم الحياتية على جميع الأصعدة ..فقد هذّبت العرب لغتها عبر مراحل عدة، وهي على شفاههم وليست مكتوبة..

فيوم أن كانت العرب القبيلة الأولى، أخذت تهذّب لغتها، حيث ((تقلَبت على وجوه من الإصلاح، وجرت على مناحٍ من التهذيب، وتأريخ ذلك بالطبع غير محقق بالنص)) [١٣]

ومراحل التهذيب التي تبعت هذه المرحلة ، تؤكد عمل هذه المرحلة، لأنها مهَدت الطريق حتى تلد مراحل تهذيبية لغوية أخرى، لتكمل هذه المسيرة اللغوية المهمة، ولاشك في أن اللغة العربية بالنظر إلى إمكاناتها الذاتية ، والقوى الكامنة فيها ، تتنقح هي ذاتياً، وتزامن الأزمان المختلفة ، وذلك من خلال ((درجات من النشوء الزمني)) [١٤] بحيث ((لا يمكن بوجه من الوجوه أن يُحدّدَ أو يُنسب إلى فرد معين)) [١٥] لأن العرب في تلك الأزمان كانوا على مستوى واحد من الوعي اللغوي ، وكأن جميعهم رجل واحد ، أو فرد واحد..

أخذت اللغة طريقها من على شفاه العرب إلى التنقيح والتهذيب الذاتيين ، باستعمال ما يجوز استعماله، وإهمال ما لا يجوز استعماله، لتواكب حاجات العرب عبر الزمن. ولكن العرب تكاثروا بعد القبيلة الأولى، وتشعبوا ، فـ ((تفرقت القبائل، وأخذت اللهجات تتنوع... وقد تعددت طرق الوضع في اللغة بطول المدة، واتساع الاستعمال، وتقليب الكلام على وجوهه المستحدثة، ومن ثم نشأت اللغات الكثيرة ..)) [١٦]

بدأت العرب بأخذ اللغة بعضها عن بعض، بالمجاورة والمخالطة بعد أن تشعبوا وتفرقوا وتكاثروا.. وتداخلت بذلك ألسنتهم، ولكن مع ذلك فقد حافظ كل منهم على قياس لغته مع تصرفه اللغوي ، والحفاظ على طبعه، وقريحته اللغويتين، وبذلك كانوا على جانب كبير من التهذيب اللغوي، كل قبيلة من جهتها كانت تعبّر بأسلوبها اللغوي عن أيامها ومفاخرها ، وغيرها من وجوه الحياة. [١٧]

إجتازت العربية حقباً طويلة، وشهدت على لسان متكلَميها تهذيباً وتنقيحاً في الاستعمال والاهمال لمفردات اللغة .. حتى وصلت الحال إلى زمن كانت قريش على رأس القبائل العربية في الجزيرة العربية ، فأخذت هي زعامة هذا المشروع اللغوي العظيم في التهذيب

والتنقيح اللغويين في عمليتي الاستعمال والإهمال،و ((اللغة قد أحكمت على أدوار التأريخ الاجتماعي كل الإحكام)) [١٨] والقبائل العربية كانت تتوارد على مكة على مدار السنة، وفي مواسم الحج والتسويق العام في عكاظ، وهي ((متباينة اللهجات، ومختلفة الأقيسة المنطقية المودعة في غرائزها ، فكان قريش يسمعون لغاتهم، ويأخذون ما استحسنوه منها، فيديرون به ألسنتهم، ويُجرون على قياسه.. فارتفعت لغتهم عن كثير من مستبشع اللغات ومستقبحها، وبذلك مرنوا على الانتقاد، رقّتْ أذواقهم، وسمت طبائعهم، وقويت سلائقهم ، وحتى صاروا في آخر أمرهم أجود العرب إنتقاءً للأفصح من الألفاظ ، وأسهلها على اللسان عند النطق وأحسنها مسموعاً، وأبينها إبانة عما في النفس ..)) [١٩]

وكانت النتيجة من كل ذلك ، أن العرب حين كانوا يأتون إلى سوق عكاظ ، وهي بمثابة مهرجان سنوي عربي عام ، وهي ((حالة من أحوال الحضارة، ولذلك اقتضى الصناعة اللسانية ، فكان العرب يرجعون إلى منطق قريش)) [٢٠] و كما هو معلوم أن قريشا كانوا ((يبالغون في انتقاد اللهجات و انتقاء الأفصح منها)) (٢١)

مرت العربية بالأدوار المختلفة من التهذيب والتنقيح في الاستعمال والإهمال على مدار التأريخ الطويل ، حيث((يشيع المنطق الفصيح، وتبلغ اللغة درجة عالية من النشوء ليس بعدها الا موت الضعيف، وتحوله إلى شكل أثري لا منفعة فيه للمجموع المكون على هذه الطريقة ، ولكنه يدل على أصل التكوين)) [٢٢]

إن عمليتي الاستعمال والإهمال في التهذيب والتنقيح اللغويين، إنما جرتا على مبنى من الفطرة البشرية العربية الخالصة ، فالنفوس كانت مستعدة لكل تغيير طبيعي يناسب تغيرات الحياة الطبيعية، فضلا عن تمتع اللغة بالقبول التام والكامل لكل تغيير نظراً لحيويتها الفطرية، وتزودها الذاتي بقوى لغوية عالية ، واستقلالية لغوية مثلى، ثم إنها كانت على شفاه العرب ، أي غير مكتوبة ، فهي قابلة للتغيير الفوري، كلما دعت الحاجة إلى أي تغيير.. خصوصاً وأن المالك والمتصرف هم العرب أنفسهم دون تدخل من أحد، أو قوة خارجية تمنع أو تمانع من حصول هذا التغيير الطبيعي الذاتي من لدن العرب صاحبة اللغة ، ومن لدن اللغة نفسها. يقول

الرافعي ((فإن أعظم الأسباب في تكوين العربية على هذا النحو من اللين والمطاوعة على التغير الذي تعاورها في كل عصورها قبل الإسلام، إنما هو عدم كتابتها، لأن ما كتب لا يتغير..)) [٢٣]

ولكن هذه اللغة صارت لغة العالمين أجمع بعد مجيء الإسلام، عقيدة وعلماً، أو معرفة وثقافات .. فكتبت، وعلى الرغم من بقائها على الشفاه، أصبحت لغة التأليف والكتابة.. ولكن مع ذلك عليها أن تتغير ، وأن تُلبي حاجات البشر لغوياً علماً وثقافة، ديناً وعقيدة، وفي ذلك جاء دور العلماء في إحداث هذه التغييرات اللغوية في عالم الكتابة تنقيحاً وتهذيباً في عمليتي الاستعمال والإهمال – يوم كانت العمليتان تجريان فطرياً من على شفاه العرب الفطريين، واللغة كذلك كانت في فطريتها وليونتها ومطاوعتها ، ولم تحمل أعباء العلوم والثقافات بعد، ولم يُصبْها الإهمال اللغوي في إجراء الواجبات اللغوية الثقيلة بعد ..

فمن هذا المنطلق ، يقدم هذا البحث ليُرى ماذا قدّمه العلماء في هذا المجال اللغوي المهم في عمليتي الاستعمال والإهمال اللغويتين على مدار القرون بعد مجيء الإسلام في معالجة قضايا العربية ، وهذا يحتاج إلى إرشاد وترشيد لغويين، فقد تكفّل العلماء بابلاغ هذا المشروع اللغوي في استعمال ما يصح استعماله ، وإهمال ما يصح إهماله في الوقت الذي تكون اللغة مكتوبة، والتغيير من التهذيب والتنقيح عملاً صعباً قياساً إلى وضع اللغة يوم أن كانت لغة التكلم والكلام حيث كان التغيير عملاً سهلاً..فقنن العلماء اللغة في قوانين ثابتة صحيحة حتى يستطيع العرب أنفسهم أن يفيدوا فائدة جمة من هذا المشروع، لأنهم ابتعدوا عن معين العربية الصافي بسبب اختلاطهم بغيرهم من الأمم، ثم بسبب ظهور الحضارة وتفاعلهم معها..

لقد بين العلماء ما يجب استعماله من اللغة وما يصح ، وما هو إهماله واجب وصحيح أيضاً، كما يُقدم في هذا البحث المقدم..

١- من دواعي الاستعمال و الإهمال: الاستثقال :

إنه من طبيعة الأشياء، ومن طبيعة الحياة تناول الأيسر في كل الأمور، والتعامل مع الأشياء بأيسر الطرق وأسهلها، والإنسان مجبول على أن يأخذها بما هو أيسر وأسهل في ميادين الحياة..

وفي مجال اللغة ، والتي هي عنوان الإنسان . حاول الإنسان أن يتكلم ويتحدث بأيسر الألفاظ وأفهمها وأوضحها، وبأقل الكلمات وأدلَها ، وخاصة حين تزداد ثقافته، ويكثر وعيه، وتتعدد إمكاناته العلمية والحضارية..

ومن هنا، فإن الإنسان العربي ، حاول ويحاول أن يجد من الكم اللغوي الهائل الذي يمتلكه، الاستغناء عن كل ما هو مستثقل من الألفاظ والكلم ، سواء كان حرفاً ، أو فعلاً، أو عبارات، طلباً للفهم، والإفهام، والبلاغ بأحسن صورة، وأسهل سبيل، بما هو ((الأكثر وضوحاً في السمع)) [٢٤]

إن علماء اللغة يُعزون إهمال ما يُهمل من مواد اللغة إلى الاستثقال في غالب الأحيان، كما يقول الدكتور إبراهيم أنيس[٢٥]. فقد جمع العلماء كل من الفراهيدي ١٧٠ هـ ، وصاحب الصحاح: الجوهري ٣٩٣ هـ وابن منظور ٧١١ هـ في كتب المعجمات التي ألفوها، آلاف الكلمات. فقد وجدوا أن هناك مئات من الألفاظ والكلمات قد أهملت دون تدخل منهم، بل ان الطبع العربي يرفضها، أو يستغني عنها، ويُبقي على ألفاظ وكلمات أخرى، يستخدمها في مفردات الحياة المختلفة والمستمرة، فلابد من أنهم تفكروا في الوصول إلى معرفة سرّ هذا الاستغناء، أو الرفض للألفاظ والكلمات، والإبقاء على غيرها..

أسهب العالم الكبير ابن جني ٣٩٢ هـ في شرح هذه الحالة اللغوية ، من إهمال ما يهمل من اللغة، فعزاها إلى الاستثقال في اغلب الأحوال . وقد تناول هذه الحالة على مستوى الحرف، والفعل، والتركيب، كما يتبين في العرض الآتي:

يرى ابن جني أن المتكلم العربي يستثقل الصياغات الثلاثية التي تتقارب مخارجها، أي أنه يؤكد المجال الصوتي الذي يتسبب في الثقل لغوياً وصوتياً ، ويمنع ذلك الوضوح والفصاحة في الكلام. ومن أمثال ذلك، ما أورده ابن جني: ((سصّ، طسّ، ظثّ، شظّ،ضشّ... شضّ،

قجّ ، جقّ، كقّ،قك، كجّ، جك)) [٢٦] وتبريره لذلك هو أن : ((هذا حديث واضح لنفور الحس عنه، والمشقة على النفس لتكلفه))[٢٧] ، فهو يؤكد الحس اللغوي الراقي لدى المتكلم العربي ، والذي يتمتع به من رفض المشقة النفسية، وعدم قبول التكلف اللغوي في الاستعمال اللغوي بل و يؤكد السلاسة اللغوية و الارتياح النفسي اللغوي في الاستخدام ، لأن المعاني لا تتأتى تكلفاً مهما حاول الإنسان في الدلالات على الأغراض، والأهداف المراد عرضها وتحقيقها..

وقد أكد ذلك كله صاحب المزهر ٩١١ هـ مرددا ما ذهب إليه ابن جني في إهمال مثل تلك الصياغات التي تتقارب مخارجها بما يستثقل النطق بها، ويمنع استخدامها، وذلك في بنية التراكيب ، وليس في أقسام الكلام بقوله: ((وأهل اللغة لم يذكروا المهمل في اقسام الكلام ، وإنما ذكروه في الأبنية المهملة التي لم تقل عليها العرب، قال ابن جني في الخصائص : أما إهمال ما أهمل مما تحتمله قسمة التركيب في بعض الأصول المتصورة، أو المستعملة ، فأكثره متروك للاستثقال)) [٢٨]

ثم يذكر ابن جني الحروف، وهي تبعث على الاستثقال في الكلام ، وهو يقول بصدد ذلك ، أن ((حروف الحلق هي من الائتلاف أبعد ، لتقارب مخارجها عن معظم الحروف ، اعني حروف الفم)) [٢٩]

وكما نقل المزهر [٣٠] عن ابن فارس ٣٩٥ هـ في (الصاحبي في فقه اللغة) ، بقوله : ((المهمل على ضربين: ضرب لا يجوز ائتلاف حروفه في كلام العرب البتة، وذلك : كجيم تؤلف مع كاف ، أو كاف تقدم على جيم ، وكعين مع غين ، أو حاء مع هاء أو غين ، فهذا وما أشبه لا يأتلف)) [٣١]

ونقل السيوطي في المزهر (٣٢) عن ابن دريد ٣٢١ هـ في الجمهرة، وهو يتحدث عن الحروف ، فإنه يقول : ((واعلم أن أكثر الحروف استعمالاً عند العرب الواو ، والياء، والهمزة. وأقل ما يستعملون على ألسنتهم لثقلها: الظاء، ثم الذال، ثم التاء ، ثم الشين، ثم القاف، ثم الخاء، ثم العين ، ثم النون، ثم اللام ، ثم الراء، ثم الياء ، ثم الميم . فأخف هذه الحروف كلها ما استعملته العرب في أصول أبنيتهم من الزوائد لاختلاف المعنى)) [٣٣]

ثم إنه يصنف الحروف على أساس صوتي، إلى: قوي وضعيف، أو الأقوى، والأضعف ، حين يجمع بين حرفين اثنين من تلك الحروف، أعنى حروف الفم كما هو يسميها، فيفصل تقديم الحرف الأقوى صوتياً، أو الأوضح في السمع، كما يذهب إلى ذلك د. ابراهيم أنيس على الحرف الأضعف نحو: ((أهل ، وأحد، وأخ ، وعهد)) [٣٤] وفي كل تلك الأحوال ((متى تقارب الحرفان لم يجمع بينهما ، الا بتقديم الأقوى منهما، نحو: أرُل ، و وتد ، و وطد)) [٣٥]

وتسويغه في ذلك ، هو : ((أن الراء أقوى من اللام)) [٣٦] لأن ((القطع عليها أقوى من القطع على اللام ، وكأن ضعف اللام إنما أتاها لما تشرّبه من الغُنّة عند الوقوف عليها، ولذلك لا تكاد تعتاص اللام، وقد نرى إلى كثرة اللثغة في الراء في الكلام، وكذلك الطاء ، والتاء ، هما أقوى من الدال ، و ذاك لأن جرس الصوت بالتاء، والطاء، عند الوقوف عليهما ،أقوى منه ،وأظهر عند الوقوف على الدال)) [٣٧]

وفي موضع آخر ،يوضح ابن جني هذه المسألة بصورة اكثر وضوحاً حين يقول: ((إنهم إنما يقدمون الأقوى من المتقاربين من قِبَلِ أن جميع المتقاربين يثقل على النفس، فلما اعتزموا النطق بهما ، قدموا أقواهما لأمرين : أحدهما: أن رتبة الأقوى أبداً أسبق وأعلى، والآخر: أنهم إنما يقدمون الأثقل ، ويؤخرون الأخف من قِبَلِ أن المتكلم في أول نطقه أقوى نفساً وأظهر نشاطاً، فقدم أثقل الحرفين ، وهو على أجمل الحالين)) [٣٨]

ثم إن العلماء ، تناولوا موضوع الاستعمال والإهمال في الأفعال كذلك، من ثعلب (٢٩١ هـ) ، و ابن دريد(٣٢١ هـ)و ابن جني (٣٩٢هـ) إلى ابن فارس (٣٩٥ هـ)، فيقول صاحب المزهر[٣٩] ، وهو ينقل ما قاله ابن دريد في الجمهرة : ((العرب لا تقول: وَدَعْته ،و وذَرتُه في معنى تركته . وإنما يقولون: تركتُه ، ودَعْهُ، و ذَرْهُ. وذكر الأصمعي أنه سمع فصيحاً يقول : لم أذَرْ ورائي شيئاً ، أي لم أترْك ، وهذا شاذ عنده)) [٤٠] وفي نص آخر في الجمهرة ، يقول ابن دريد : ((والعرب تقول : دَعْهُ عنك ، ولا يقولون : وَدَعْتُهُ ، ولا وَذَرْتُه. ويقولون : تركْتُهُ. وزعموا أنه قرئ : (ما وَدَعَكَ ربُك وما قَلَى) الضحى : ٣)) [٤١]

ويقول ابن جني في الخصائص (باب في الاستغناء بالشيء عن الشيء) نقلاً عن سيبويه في الكتاب : ((قال سيبويه: واعلم أن العرب قد تستغني بالشيء عن الشيء حتى يصير المستغنى عنه مسقطاً من كلامهم البتة .

فمن ذلك استغناؤهم بـ(ترك) عن (وَدَعَ) ، و (وَذِرَ)، فأما قراءة بعضهم (ما وَدَعَكَ ربك وما قلى) وقول أبي الاسود : (حتى وَدَعَه) فلغة شاذة..)) (٤٢)

وجاء في الخصائص كذلك :(باب في امتناع العرب من الكلام بما يجوز في القياس): ((وإنما يقع في كلامهم ، اذا استغنت بلفظ عن لفظ ، كاستغنائهم بقولهم : ما أجود جوابه عن قولهم : ما أجوبه، أو لأن قياساً آخر عارضه ، فعاق عن استعمالهم إياه .....ومما رفضوه استعمالاً ، وإن كان مسوغاً قياساً : وَذَرَ، و وَدَعَ استغنى عنهما بتَرك))[٤٣]

ومما نقل السيوطي عن ابن درستويه في شرح الفصيح لثعلب ((قال ابن درستويه في شرح الفصيح (٤٤) : إنما أهمل استعمال وَدَعَ و وَذَرَ في أولهما واو ، وهو حرف مستثقل، فاستغني عنهما بما خلا منه ، وهو ترك . قال: واستعمال ما أهملوا من هذا جائز صواب وهو الأصل ، بل هو القياس الوجه، وهو في الشعر أحسن منه في الكلام لقلة اعتياده، لأن الشعر أيضاً أقل استعمالاً من الكلام)) [٤٥] وفي موضع آخر يقول ثعلب ، مما جاء في كتاب تصحيح الفصيح بشرح ابن درستويه : ((ومثل تركهم استعمال الماضي ، واسم الفاعل من : يذر ، ويدع ، واقتصارهم على ترك وتارك، وليس هذا لأن ترك أفصح من وَدَعَ ، و وَذَرَ ، وإنما الفصيح ما أفصح عن المعنى، واستقام لفظه على القياس ، لا ما كثر استعماله)) [٤٦]

وأذا كان حرفا واحدا، وهو مستثقل، يؤدي إلى إهمال فعل بكامله ، بل وعدم استعماله في صيغة من الصيغ ، ويعوض بدلاً منه بفعل آخر يؤدي معناه في تركيب آخر . وهكذا تعوَد العرب عليه، فإن ابن جني يقرر، أن التركيب الثلاثي للفعل في العربية ، هو المعوّل في الاستعمال ، لأنه هو الأسهل والأيسر ، وأن ذوات الأربعة والخمسة من الأفعال الرباعية والخماسية مستثقلة نظراً لكثرة الحروف التي تتركب منها، ثم طول التركيب ، بعكس الثلاثي الذي يتميز بأنه أخف الأفعال استعمالا لقلة حروفه، وتمكنه وخفته، وغيرها من المسوغات

اللغوية . فيقول في استعمال الفعل الثلاثي وترك غيره جانباً : ((إن الأصول ثلاثة: ثلاثي ، ورباعي، وخماسي ، فأكثرها استعمالاً ، وأعدلها تركيباً: الثلاثي)) (٤٧)

ويبحث ابن جني عن الثلاثي ، الذي هو أكثر استعمالاً من الرباعي والخماسي، ((وذلك لأنه حرف يُبتدأ به، وحرف يحشى به ، وحرف يوقف عليه)) (٤٨)

ويسوّغ اعتدال الثلاثي ، بأنه: ((ليس اعتدال الثلاثي لقلة حروفه حسب، لو كان كذلك، لكان الثنائي أكثر منه، لأنه اقل حروفاً، وليس الأمر كذلك ، ألا ترى أن جميع ما جاء من ذوات الحرفين جزء لا قدر له فيما جاء من ذوات الثلاثة ، نحو : من ...، وإذ ،و صَهْ ، ومَهْ...)) (٤٩)

ثم يؤكد أكثر على اعتدال الثلاثي ، ويرى ((الثلاثي عارياً من الزيادة، وملتبساً بها، مما يبعد تداركه ، وتتعبُ الإحاطة به ، فإذا ثبت ذلك عرفت منه، وبه أن ذوات الثلاثة لم تتمكن في الاستعمال لقلة عددها حسب،ألا ترى إلى قلة الثنائي، وأقل منه ما جاء على حرف واحد ، كحرف العطف، وفائه، وهمزة الاستفهام .. وجميع ذلك دون باب : كم، وعن، و صَهْ ، فتمكن الثلاثي إنما هو لقلة حروفه ، لعمري ، ولشيء آخر وهو حجز الحشو الذي هو عينه ، بين فائه و لامه ، وذلك لتباينهما، ولتعادي حاليهما، ألا ترى أن المبتدأ لا يكون الا متحركاً، وأن الموقوف عليه لا يكون إلا ساكناً، فلما تنافرت حالاهما، وسّطوا العين حاجزاً بينهما، لئلا يفجئوا الحس بضدّ ما كان آخذاً فيه، ومنصباً إليه)) (٥٠)

وبعد أن ينتهي عن توضيح الأمر بالنسبة للثلاثي، ينتقل إلى الأفعال الرباعية والخماسية، ويسوّغ عدم استعمالها ، وهو يقول : ((فذوات الأربعة مستثقلة، غير متمكنة تمكن الثلاثي ، لأنه إذا كان الثلاثي أخفّ و أمكن من الثنائي – على قلة حروفه – فلا محالة أنه أخف و أمكن من الرباعي لكثرة حروفه ، ثم لاشك فيما بعد في ثقل الخماسي ، وقوة الكلفة به))(٥١)

ويفصل ابن جني في المسألة، ابتداء بتمكن الثلاثي واستعماله، نظراً لقلة حروفه، وخفته ، وغيرها من المسوّغات اللغوية التي سبقت الإشارة إليها، يستوضح الأمر في الرباعي والخماسي بقوله :

((فإذا كان كذلك ثقل عليهم مع تناهيه وطوله، أن يستعملوا في الأصل الواحد جميع ما ينقسم إليه به جهات تركيبه، ذلك أن الثلاثي يتركب منه ستة أصول ، نحو: جعل ، جلع ، عجل، علج ، لجع ، لعج . والرباعي يتركب منه أربعة وعشرون أصلاً، وذلك أنك تضرب الأربعة في التراكيب التي خرجت عن الثلاثي ، وهي ستة ، فيكون ذلك أربعة وعشرين تركيباً منها قليل، وهي : عقرب، و برقع ، و عرقب ، وعبقر ؛ وإن جاء منه غير هذه الأحرف، فعسى أن يكون ذلك ، والباقي كله مهمل .)) (٥٢)

((وإذا كان الرباعي مع قربه من الثلاثي ، إنما استعمل منه الأقلّ النزَر ؛ فما ظنك بالخماسي على طوله، و تقاصر الفعل الذي هو مئنة من التصريف ، والتنقل عنه ، فلذلك قلّ الخماسي أصلاً... مع أن تقليبه يبلغ به مائة وعشرين أصلاً، ثم لم يستعمل من جميع ذلك إلا سفرجل وحده ...)) (٥٣)

١. ومن دواعي الاستعمال والإهمال: الصوت

يقال: إن اللغة صوت. كما عبّر بذلك ابن جني : بأن اللغة إنما هي أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم ..(٥٤) إذن فإن للصوت دوراً كبيراً في مجال الاستعمال والإهمال اللغويين، وذلك في :

أ- الترتيب الصوتي : مع اتحاد المعنى في كلمات واردة في العربية. وهذا وجه من وجوه الاستعمال و الإهمال ، وأن هذه الحالة يُعيدها الدكتور إبراهيم أنيس إلى أخطاء السمع . وذلك من امثال : إمْضَحَل إضْمَحَل

جَذَبَ جَبَذَ (٥٥)

ب – التقارب الصوتي: وذلك في الحروف المتقاربة صوتياً في بعض الكلمات المختلفة البُنية، وهذا يؤدي إلى إهمال حرف واستعمال الحرف المتقارب صوتاً للحرف المهمل ، وذلك من مثل :

طبرزل و طبرزن (٥٦)

ج – التطور الصوتي : له دور كبير في الاستعمال والإهمال ،حيث تتغير من خلاله صورة الكلمة، مما يسبب إلى إهمال حرف ، واستعمال حرف متقارب له في الصوت . مثال ذلك :

كمح الدابة كبح الدابة

غرس غرز

د– أحوال للتغير الصوتي، أو التطور الصوتي : مما يؤدي كل ذلك إلى إهمال حروف واستعمال أخريات، وهذه الأحوال تتمثل في :

الشدة و الرَّخاوه: أزَّ هزَّ في استعمال الهاء بدل الهمزة

في الجهر والهمس : جذا جثا

في الإطباق و الاستفال : الغلت الغلط

في نسبة الوضوح في السمع : ثار فار

انتجر الماء انفجر

في اختلاف المجرى : امتقع لونه التقع

في اختلاف المخرج : القحط الكحط

في اختلاف ترتيب الأصوات : جذب جَبَذَ

اضمحل امضحل (٥٨)

هـ – تفضيل صوت على صوت :

وكما يذهب إلى ذلك الدكتور أنيس ، وذلك حين يقرر ابن جني في ((استعمال (قضم) في اليابس من المأكولات ، و (خضم) في الرطب منها ،في القاف من قوة وشدة، ليست في (الخاء))) يسوغ الدكتور أنيس ذلك بأن : ((إهمال بعض التراكيب ، قد يكون بسبب نجهله، لبعد عهدنا عن زمن وضع اللغة)) (٥٩)

وأجمل من يفسر ظاهرتي الاستعمال والإهمال اللغويتين عند العرب، هو الدكتور أنيس ، فيما يقدمه في تعقيبه على ما قدمه ابن جني في هذا الموضوع، وأسهب ، فهو يقول : ((

ونحن حين نقرأ كلام ابن جني في هذا الفصل ، نشعر بأن استعمال ما استعمل، وإهمال ما أهمل كان مسألة مواضعة واتفاق بين العرب، وقد قصدوا قصداً إلى إهمال ما أهملوا لحكمة رأوها، أو سبب عقلي منطقي دعا إلى هذا ، فكأن الخاصة من العرب كانوا يعقدون المؤتمرات، ويقررون قرارات في شأن الكلمات)) (٦٠)

والدكتور أنيس يعزو الأمر إلى تطور اللغة العربية عبر القرون، في استعمال ما استعمل، وإهمال ما أهمل، فهو يقول : ((وقد يكون من العبث البحث عن ما أهمل من تراكيب ، وتلمس الأسباب لمثل هذه الظاهرة التي هي نتيجة التطور للعربية خلال قرون عديدة، لا نكاد ندري عنها شيئاً، وإنما الواجب أن ننظر إلى ما رُوي فعلاً من كلمات مستعملة ،ونميّز منها الكثير الشيوع ، من القليل النادر، لعلنا نصل إلى قاعدة مستنبطة مما هو موجود ومعترف به...)) (٦١)

٣- من دواعي الاستعمال والإهمال: القبح والجمال في اللفظ، أو الكلمة :

إن جمال الكلمة وقبحها ، يجعل المتكلم يختار ما هو أجمل من الألفاظ والكلمات، ويترك سواها، وفي ذلك يقول د. حاتم الضامن ((والألفاظ تتقارب فيما بينها جمالاً وقبحاً من حيث دلالاتها على المعنى، وعلى جوانبها المختلفة، وأن المتكلم يستعين على حسب قصده بألفاظ قد تستر جانب القبح في الأشياء ، أو تكشف عنه، وأن الألفاظ يجب أن تختار لتلائم موقعها في الجمل ، وفي صياغة المجاز، وفي الغاية من المعنى المراد، هذا جمالها في معناها ومعرضها، ويتصل بها جمالها في جرسها حسب السياق)) (٦٢)

إن تصاريف الفعل المتصرف أمر وارد، ومقبول ، بل هو الوجه في العربية، لكن هناك في العربية فعل يقبح استخدام تصريف من تصاريفه ؛ هكذا قرره العلماء ، وذلك من مثل فعل : دَعْ ؛ حيث يقول السيوطي : ((دَعْ : يقبح بصيغة الماضي ، لأنه لا يستعمل وَدَعَ إلا قليلا، يحسن فعل أمر، أو فعلاً مضارعاً)) (٦٣)

٤- من دواعي الاستعمال و الإهمال : الإفراد والجموع :

حيث يمكن إيراده في التحارير ، كيفما ، ومتى يريده المريد ،ولكن مع ذلك فهناك ألفاظ في العربية يحسن استخدامها جمعاً دون الإفراد وهكذا سارت العربية وأهلها متبعون هذه

الحالة، حيث يقبح استعمالها مفرداً، إلا إذا كان مضافاً، أو مضافاً إليه، وذلك من مثل لفظة (اللب) . فقد جاء في المزهر : ((لفظ اللب بمعنى العقل، يُقبح مفرداً،ولا يُقبح مجموعاً ، كقوله تعالى: [...لأولي الألباب](البقرة: ١٧٩). لم يرد لفظ اللب مفرداً إلا مضافاً ، كقوله : صلى الله عليه وسلم : (ما رأيت من ناقصات عقل ودين، أذهبَ للب الرجل الحازم من إحداكنَّ) (صحيح البخاري : باب الزكاة على الأقارب) مضافاً إليه ، كقول جرير :

* يُصرِّعْنَ ذا اللُبِّ حتى لا حِراكَ به * (٦٤)

وكلمة (الأرجاء) يكون استعمالها إذا كان جمعاً، وإلاّ يُهمل، لأنه يقبح استعمالها مفرداً، يقول السيوطي: ((تحسُنُ مجموعة كقوله تعالى : [والملكُ على أرجائها] (الحاقة١٧) ولا تحسنُ مفردة إلا مضافة، نحو : رجاء البئر)) (٦٥)

وكلمة الأصواف ((تحسُنُ مجموعة، كقوله تعالى : [... ومن أصوافها] (النحل: ٨٠) ولا تحسُنُ مفردة ، كقول أبي تمام :

* فكأنما لبس الزمان الصوفا *)) (٦٦)

والمصادر، كما يقول السيوطي بصددها : ((ومما يحسُنُ مفرداً ويقبحُ مجموعاً : المصادر)) (٦٧)

ومما يحسُنُ استخدامها، واستعمالها دون إهمالها : استعمال ألفاظ بمفردها دون جمعها ، لأن ذلك يؤدي إلى الاستثقال، مما يصعب استعمال كلمات ، ومن ذلك : ((ولاستثقال جمع الأرض لم تجمع في القرآن، وجمعت السماءُ حيث أريد جمعها ، قال : [ومن الأرض مثلهن] (الطلاق:١٢))) (٦٨)

ومثل كلمة بُقعة و بقاع ، يقول السيوطي : ((وكذلك بُقعة وبقاع ، وإنما يحسُنُ جمعها ، مضافاً مثل: بقاع الأرض)) (٦٩)

٥- من دواعي الاستعمال و الإهمال: الفصاحة اللغوية:

وكما ذكر ابن جني في توجهه إلى قبول الثلاثي في الاستعمال الأكثر في اللغة ، وذلك للميزات التي تميزت بها الأفعال الثلاثية، إذ يرى ابن جني أن هذا الأمر هكذا يؤدي إلى

استعمال أسهل للغة، وتناول مفرداتها. يرى السيوطي كذلك أن ذلك من قواعد الفصاحة اللغوية،وشروطها، ومميزاتها ، وذلك من منطلق أن الفصاحة اللغوية هي جانب مهم ، وكبير من الجمال اللغوي ، وبُعدٌ كبير عن أي قبح يشوه وجه اللغة بحال . يقول السيوطي : إنه ((من شروط الفصاحة أن تكون الكلمة متوسطة بين قلة الحروف وكثرتها، والمتوسطة ثلاثة أحرف ، فإن كانت الكلمة على حرف واحد ، مثل : قِ فعل أمر ، في الوصل قُبحت، وإن كانت على حرفين لم تقبح إلا أن يليها مثلها ...)) [٧٠]

ومن المعلوم ، أن العربية لها من اللهجات ما لها ، وعلماء العربية أدركوا جيداً أن العربية الفصيحة تفهمها العرب كلها ، ولا تجد أي صعوبة في استعمالها ، وتناولها ، والتعامل معها على مستوى الأمة برمتها، أدرك العلماء ذلك كله، ولكنهم مع ذلك جعلوا اللغة التي بلسان قريش مع ما تتضمن اللغة القرشية من كلمات وعبارات من قبائل أخرى ؛ لأنه من المعلوم أن لهجة واحدة من بين لهجات لغة الأم لأمة من الأمم ليست بإمكانها تلبية جميع طلبات الأمة اللغوية ، ولذلك تستقدم كلمات من القبائل الأخرى، وتوظفها في اللهجة الرئيسة حتى تكتمل اللغة الموحدة ..

وقد ذكر العلماء تلك اللهجات ، وخاصة ابن جني في كتابه (الخصائص) والسيوطي في (المزهر)، وذلك من كشكشة ربيعة ، وكسكسة ربيعة ، ومضر، وعنعنة قيس وتميم ، وفحفحة هذيل ، و وهم كلب، و وكم ربيعة ، و عجعجة قضاعة ، واستنطاء سعد ، وابن بكر ، وهذيل، وأزد، و وتم اليمن ، وشنشنة اليمن . [٧١] ((فقد ارتفعت قريش في الفصاحة)) [٧٢] عن كل تلك اللهجات التي ينعتها (المزهر) بمستبشع اللغات ومستقبح الألفاظ ، وذلك لأن ((القرشية باعتراف من جميع القبائل ، وبطواعية واختيار من مختلف لهجاتها ، كانت أغزرها مادة، وأرقها أسلوباً، وأغناها ثروة ، وأقدرها على التعبير الجميل الدقيق الأنيق في أفانين القول المختلفة)) [٧٣]

فمن هذا المنطلق ، سمّى علماء العربية ألفاظاً وصيغاً في اللهجات بمستبشع اللغات، ومستقبح الألفاظ والكلمات.. قياساً ومقارنة باللغة القرشية الفصيحة التي هي سهلة التناول ، وسريعة الوصول إلى المعاني والدلالات، ومفهومة لدى السامع ، في حين أن في

اللهجات مفردات وصيغاً وكلمات تتطلب من متكلميها فقط فهم معاني ومقاصد العبارات ، والمجازات ، والكنايات ، وأساليب العرض ، والفهم والبلاغ .

ومن أجل ذلك كله، أهملت من اللهجات تلك الكلمات والصياغات ، والمفردات المستشنعة، والمستقبحة ، وأقبل الناس على اللغة السهلة التناول والتعامل .. وهكذا جرى الاستعمال والإهمال بصورة جيدة ، حسبما تقبله النفس العربية الخالصة.

وقد نقل (المزهر) تأكيد الفراء ، على أن لغة قريش أصفى لغات العرب قاطبة بقوله: ((كانت العرب تحضر المواسم في كل عام ، وتحج البيت في الجاهلية، وقريش يسمعون لغات العرب ، فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به ، فصاروا أفصح العرب ، وخلت لغتهم من مستبشع اللغات ، ومستقبح الألفاظ)) [٧٤]

٦- من دواعي الاستعمال والإهمال : طبيعة الألفاظ:

إن لطبيعة الألفاظ قيمة كبرى في اختيارها واستعمالها ، أو إهمالها، وهذا الأمر سيكون قبل توظيفها في الكلام . كما يقول في ذلك الدكتور مراد كامل في كتابه (دلالة الألفاظ العربية وتطورها) : بأن ((للفْظة قيمة من ناحية المعنى مستقلة عن دورها في الجملة)) [٧٥] ويستطرد في ذلك ، ويقول : إن ((اللفظة تحمل في نفسها علامة استعمالها ، وللتعبير عن قيمتها الصرفية ، فهي على درجة من الامتلاء ، لا تحتاج إلى مزيد)) [٧٦]

وهذه القيمة للألفاظ تكون على جانبين : أولهما : ((فللألفاظ قيمة وقتية، أي محددة باللحظة التي تستعمل فيها)) [٧٧] وثانيهما : ((قيمة فردية خاضعة للاستعمال الوقتي الذي يستعمله)) [٧٨]

ولكن يجب ألا ننسى أن ((السياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة ، بالرغم من المعاني المتنوعة التي يمكن أن تدل عليها)) [٧٩]. ومعنى هذا أن هناك استعمالاً واحداً لمعنى واحد من بين جميع معاني الكلمة ودلالاتها، وبالتالي يكون هناك إهمال لبقية المعاني الأخرى ، و هذا يعني أن الاستعمال والإهمال إنما يكونان من جانب المعنى ، وليس فقط على مستوى شكل اللفظ وحده. فالإهمال يكون من جانب اللفظ، كما يكون من جانب المعنى ، حيث أن المريد يختار اللفظ المناسب للمقام الذي يتطلبه الكلام والحديث، وكذلك

فإن المريد يريد معنى من معاني مفردة في مقام دون غيرها من المعاني التي تتضمنها الكلمة أو اللفظة .

ومما لاشك فيه، أن الألفاظ السهلة التناول ، ذات الجرس الأحلى ، الخفيف على السمع في فهمها ، وبلوغ مقصدها ،اكثرها استعمالاً من غيرها ؛ كل ذلك إنما من طبيعة الألفاظ لا غير.

ولا يغيب عن بالنا، أن لنفوس الأفراد، وطبائع البشر دوراً كبيراً في اختيار الأنسب من الألفاظ التي تتناسب مع نفسيته، وطبعه ، وحتى مزاجه في المواقف المختلفة ، حيث إن هناك مواقف ليّنة خفيفة لطيفة، وأخرى خشنة صعبة، كل ذلك يتطلب الألفاظ المناسبة لها، وهي متوافقة مع طبع الفرد الذي يختاره،ومن ثم يستعمله ؛ وبذلك يجري أمر الاستعمال والإهمال.(٨٠)

ولاشك، أنه قد تختلف اللهجات العربية فيما بينها في الألفاظ، أو القواعد ، أو أساليب التعبير ...

٧- من دواعي الاستعمال و الإهمال: الاختلاف اللهجي:

إنه من المعلوم ، أن لكل لهجة ألفاظها، وقواعدها، وأساليبها في التعبير، وهذا ما يؤدي إلى استعمال ألفاظ تكون مهملة لدى اللهجة ، أو اللهجات الأخرى بل معدومة مع توحيد المعنى والدلالة للشيء . وقد فتح ابن جني باباً في كتابه الكبير (الخصائص) بعنوان :((باب في اختلاف اللغات وكلها حُجة)) (٨١) ، حيث يؤكد هذا العالم الكبير ، أن كل لهجة لغة قائمة بذاتها، ويؤكد الاستعمال والإهمال في اللهجة ومثيلتها ، أو عائلة في لفظ، أو ألفاظ، وذلك في اتحاد بُنية الكلمة ، مع اختلاف المعنى، حيث يوضح قصده بإعمال وإهمال (ما) ، وهي عاملة في لغة الحجازيين ، ومهملة أو غير عاملة في لغة التميميين. وكلاهما مصيبان في حكمهما تُجاه هذا الحرف .

ويوضح ابن جني هذه المسألة في الاستعمال والإهمال بخصوص اللهجات، بأن كلها صحيحة ، وهي من كلام العرب ، ويقول : ((إعلم أن سعة القياس تتيح لهم ذلك ، ولا تحظره عليهم)) (٨٢) كما مثَّلَ في (ما) حجازياً، وتميمياً، وذلك ((لأن لكل واحد من القومين ضرباً

من القياس يؤخذ به ، ويُخلد إلى مثله، وليس لك أن تردَّ إحدى اللغتين بصاحبتها ؛ لأنها ليست أحق بذلك من رسيلتها)) [٨٣] لكن الغاية الحقيقية في هذا الأمر هي : ((أن تتخير إحداهما فتقويها على أختها ، وتعتقد أن أقوى القياسين أقبل لها ، وأشدّ أنسا بها ... هذا حكم اللغتين إذا كانتا في الاستعمال والقياس ... فأما أن تقِلّ إحداهما جداً، وتكثر الأخرى جداً، فإنك تأخذ بأوسعهما رواية، وأقواهما قياسا)) [٨٤]

هكذا يُلقي ابن جني بأحكامه على اللهجات ، ويركز على شرطي الاستعمال والقياس الأقوى في التعامل اللغوي ، فيقول : ((فإذا كان الأمر في اللغة المعوّل عليها هكذا، وعلى هذا فيجب أن يقلّ استعمالها، وأن يتخيّر ما هو أقوى وأشيع منها)) [٨٥] في الوقت الذي ، إذا كان هناك من يستعمل من اللهجات ، فإنه ((لم يكن مخطئاً لكلام العرب ، لكنه كان يكون مخطئاً لأجود اللغتين)) [٨٦] هكذا يؤكد على الاستعمال للأقوى قياساً وشائعاً في اللغة الفصحى، وإهمال غيره ، إذا كان دون هذا الحكم .

٨- من دواعي الاستعمال و إلاهمال: اختلاف الأجيال:

ان اختلاف الأجيال له تأثير كبير في الاستعمال والإهمال اللغويين، حيث يستعمل كل جيل مفرداته اللغوية بحسب الحاجة العصرية والزمنية التي يعاصرها ، ويتزامن معها ، ويلبى مطالبها الحياتية . فالحاجات الحياتية تولّد الكلمات والألفاظ حتى تتوافق المطالب والتسميات ..

فالجيل الماضي ، كان يستعمل كلمات في معان ودلالات تناسب زمنه، وحاجاته ، ويأتي جيل تالٍ في عقبه ، وهو يعايش زمناً آخر، وعصرا آخر ، و واقعاً مختلفاً، وحاجات أخرى جديدة لم تكن موجودة من قبل ، فيراد لها كلمات ومصطلحات تناسبها ، وتسميتسها بمسميات تعبّر عن الدلالات التي تميزها ، وتتمتع بها من معان ومقاصد . ولاشك أن في هذه الحالة يتداخل اختلاف اللهجات ، حيث إن لهجة ما ، تستعمل كلمة في دلالة ومعنى ، وأخرى تستخدمها في دلالة ومعنى آخر ؛ وبذلك يجري مبدأ الاستعمال والإهمال من حيث الدّلالة، ومن حيث المعنى ، في الوقت الذي تكون بُنية الكلمة ، بُنية واحدة من حيث تركيبها، لا تغيير فيها من لدن اللهجتين .

وكل هذا ما نلمسه ، مما جاء من لدن باحث متعمق في بحوثه بشأن اللغة ، وهو الرافعي رحمه الله ، وهو يقول : ((ومن التأريخ ما لا يقتصر الإبهام على مدلوله فقط ، ولكنه يتناول الألفاظ الدالة أيضاً ، وذلك لأن صورته الذهنية تكون في مجموعها ملفقة غير مضبوطة على قياس مألوف من حياة المتكلم ؛ فإذا أصاب تلك الألفاظ لم يجد لها في ذهنه رسما معيناً ، لأنها أطلال زمنية ، وأكثر ما يكون ذلك في العادات والمصطلحات اللغوية التي تتغير بتغير الأزمان والأقوام ، فإذا انقرض أهلها ، وانقرضت معهم ،وبقيت ألفاظها في اللغة مبهمة في ذاتها ، حتى إذا أُلحقت بالشرح التأريخي أو اللغوي الذي يكشف غموضها ، ويزيل إبهامها ،دخلت في الحياة الذهنية ، ولكنها تبقى مع ذلك بالنسبة لانقطاعها من الوجود بقايا أثرية في اللغة (مثل خشونة الشعر الجاهلي) .))[٨٧]

ثم يستطرد الرافعي ، فيقول موضحاً ومبيناً هذا الأمر : ((ولو ذهبنا إلى المعارضة بين ألفاظ الحياة العربية الأولى ، وما اختصت به من المعاني ، وبين هذه الحياة الحضرية ومستحدثاتها، لرأينا قسماً كبيراً من اللغة يتنزل منها منزلة البقايا الأثرية ، لأننا لا نحتاجه ، ولا هو مما يُعّد فضلاً عن الحاجة ، فينتظر به وقتها ، وذلك كأسماء الإبل وصفاتها الكثيرة، وكأسماء كثير من الحشرات ، وما جاءت به اللغات المتعددة ، وهو كثير تطفح به معاجم اللغة))[٨٨]

والرافعي يسمّي العربية الأولى ، أي عربية الأجيال الماضية التي تختلف عن عربية هذه الأجيال بـ (لاتين العربية) تشبيهاً باللاتينية الأوربية ؛ فكما أنهم لا يستعملونها ، إلا أنهم يشتقون منها أسماء المصطلحات العلمية والأدبية المختلفة التي تمس الحاجة إليها ، ولكن بطريقة موائمة لغوية دقيقة بين مدلولها ، ومفاهيم اللغة المعاصرة ؛ فكذلك العربية .. وفي هذا الصدد ، يقول الرافعي : ((ولقد نرى أن ذلك مما يصح أن يسمى (لاتين العربية) قياساً على اللغة اللاتينية التي لا يستعملها الأوربيون ، ولكن يشتقون منها أسماء المصطلحات التي تمس إليها الحاجة ، فيما يستحدثون من أمورهم ، لولا أن ((لاتيننا العربي)) يحتاج منا إلى عربية تلائمه ، فإن استحياء الماضي لا يكون إلا بالملائمة بينه وبين روح الحاضر))[٨٩]

ولكن الرافعي ، يريد أن يبقى حديثه عربياً ، ولا تقتفي أثر الأجنبي ، والغير، في أحكامه على طبيعة اللغة العربية التي تستقل بها ، ولذلك فإنه يورد مصطلحات لغوية عربية خاصة من لدن علماء العربية الأصلاء، الذين يسمّون كثيراً من ألفاظ ومفردات العربية الأولى في الأجيال الماضية بمسميات مثل :((الوحشي ، والغريب، و الحوشي ، والمنكر ، والمُمات...)) (٩٠)

٩- من دواعي الاستعمال والإهمال: الشيوع وكثرة الاستعمال:

إن القاعدة المتبعة لدى علماء اللغة، قدامى ومحدثين ، أن الشائع في الاستعمال من الألفاظ والكلمات ، يؤخذ بنظر الاعتبار في الاعتماد عليها واستعمالها، وعدم إهمالها ؛فيترتب على هذا إهمال غير الشائع بصورة عامة. ومن هذا المنطلق ، فإن كثرة الاستعمال تجعل من الكلمة أكثر قدرة على تلبية الحاجات والمطالب اللغوية لدى مستخدميها . يقول د.رمضان عبدالتواب: ((والقاعدة في فقه اللغات بوجه عام ، أن الكلمة الواحدة تعطي من المعاني والدلالات بقدر ما يُتاح لها من الاستعمالات ، لأن كثرة الاستعمال لابد أن تخلق كلمات جديدة ، تُلبَّى بها مطالب الحياة والأحياء)) (٩١)

وقد اهتم العلماء القدماء بموضوع الاستعمال للمفردات العربية اهتماماً كبيراً و واسعاً ؛ فقد كانوا حريصين ((على إظهار الفروق الدقيقة بين الألفاظ المستعملة ، فعقدوا فصولاً لأشياء تختلف أسماؤها باختلاف أحوالها ، ونقلوا مثلاً أنه ((لا يقال المائدة (٩٢) إلا إذا كان عليها طعام ، وإلا فهي خوان . ولا كوز إلا إذا كانت له عروة ، وإلا فهو كوب)) (٩٣)

وكثرة الاستعمال ((حكم أخذه العلماء بنظر الاعتبار في الاعتماد عليه ليكون في صلب اللغة المثالية التي تكون اللغة الموحدة ، والمعدلة على جميع المستويات قاطبة)) (٩٤)

١٠- من دواعي الاستعمال والإهمال: طول الزمن:

وذلك باستعمال الكلمة بمعنى جديد ، وإهمال الكلمة بالمعنى القديم ذلك أن لطول الزمن دوراً كبيراً في تغير معاني الكلمات ، وخاصة حين تتداخل الأجيال، أو تذهب أجيال ، وتأتي أجيال أخرى، فيُلقون بمعان جديدة على كلمات لها معان أخرى وهي أصيلة. ومن هنا فإنه حدث استعمال لمعنى جديد على كلمة قديمة أصيلة ، وإهمال للمعنى الأصلي للكلمة

الأصلية، هكذا يذهب إليه الدكتور أنيس ، وهو يتحدث عن ذلك ، فيقول : ((تغير معنى الكلمة في لهجة من اللهجات ، وانتقاله من المعنى الأصلي إلى معنى جديد بمرور وقت طويل ، هنا نرى لهجات اللغة الواحدة تستعمل كلمات متحدة الصورة في معان مختلفة ، مثل : الهِجْرسْ تعني القرد في الحجاز، وتعبّر عن الثعلب عند تميم)) (٩٥)

وطول الزمن و مروره ، يؤدي بالمفردات اللغوية إلى تركها بل وإلى إهمالها، واستعمال البديل عنها ، وذلك من مثل : (الغَزَّيْن) أي : الشَّدقين ، ومفردها : (غَزَّيَ) . وكلمة : البُعقوط و البُلْقُوط بمعنى : القصير . (٩٦)

وهناك كلمات أخرى كثيرة ما لا يعرفها حتى ((بعض أئمة اللغة ،لكونها مهملة الاستعمال في العرب إلا قليلاً ، وهي دون الضعف الذي ينحط عن درجة الفصيح ، كقول بعض أهل الحجاز : ((ذأى يذأى)) وهي في لغة أهل نجد : ذوى ، يذوي ، وعليها الاستعمال)) (٩٧)

والعلاقة وطيدة بين الدِّلالة ومعاني الكلمات ، مع طول الزمن ؛ وكأن الكلمة الدالة على معنى من المعاني ، قد استفرغت عن شحناتها الدلالية، ولم تعد بإمكانها إعطاء المعنى المراد لجيل الحاضر كما أعطتها لجيل الماضي ، نظراً لتغير المستوى التصورى والنفسي للجيل الحالي المعاصر تُجاه الكلمة المعنية ، فيعمد إلى إبدال الكلمة بكلمة جديدة تعطي المعنى السابق ، وتدل عليه ، ولكن في سياق وتركيب جديدين ، يناسبان الحالة النفسية والشعورية للجيل المعاصر . ولذلك ، فإذا أطلعنا على ما ذهب إليه بعضهم بهذا الصدد، نجد حقيقة ذلك ، حين يقول ((وقد تسوَدّ سمعة الكلمة لطول ارتباطها بمدلول غير كريم ، فتطرح هذه الكلمة ، وتستعمل كلمة أخرى في مكانها ، غير مثقلة بارتباطات ممجوجة من جهة المعنى ، فتستخدم فيه أولاً على طريق المجاز، ويعتبر عنصر الدلالة المجازية فيها مناط التبرير في قبولها، حيث يعتبر استعمالها المجازي نوعاً من التنزه عن ذكر الكلمة الأولى التي ساءت سمعتها ، ثم يطول الأمر على استعمال الكلمة الثانية، فتسوء سمعتها أيضاً،ولا يزال هذا المدلول الممجوج يستهلك الكلمات واحدة بعد الأخرى إلى ما لا نهاية . أُنظر مثلاً تعاقب الكلمات الآتية على معنى مكان قضاء الحاجة : غائط ، خلاء ، كنيف ، بيت الأدب ، مرحاض

، دورة مياه، حمّام. وقد كانت كل واحدة من هذه الكلمات قبل استعمالها مما لا يأنف الناس عن الجهر باستعماله في الكلام ، ولا يعلم إلا الله ما الكلمات التي تتعاقب بعد ذلك على هذا المدلول الذي يمُجُّهُ الذوقُ في جهر الكلام)) (٩٨)

١١– من دواعي الاستعمال والإهمال : قوة الكلمة:

تتفاوت الكلمات فيما بينها من حيث القوة والضعف في تضمنها المعنى الأقوى ، ودلالتها على المراد من المعاني ، والذي يريده الموقف ، أو الشخص المتكلم، فيختار ، ويستعمل ما هو أقوى من الكلمات ، لأنه ((ليست الكلمات سواء في دلالتها على المعنى . فمن الكلمات ما هو أصدق في وصف الشيء من كلمات أخرى ، وألصق بالمعنى ، أو أكثر تمثيلاً له أمام العيون)) (٩٩)

فمن هذا المعنى في قوة الكلمة ، بالإمكان أن نستنبط من ذلك أن هناك مقاومة فطرية وطبيعية من الكلمة ، بوجه التيار اللغوي الجارف الذي لا يُبقي ولا يذر حين يتغير الزمن وأصحابه ، وهي – أي الكلمة – تبقى وتقاوم معطاءة ، مانحة المعاني التي تعبر عن الحاجة الجديدة والزمن الجديد .

ولذلك، فإن قوة الكلمة هي المعيار اللغوي الجيد ، ليدوم ، ويستمر الاستعمال اللغوي للكلمة ، ويكون الإهمال لها بعيداً عنها .. لأنها حاضرة هي دائماً ، وعلى استعداد لتلبية مطالب المتكلم اللغوية .. وخير مثال لهذه الحالة من قوة الكلمة ، المفردات الثوابت التي ليس بالإمكان غيابها عن الساحة اللغوية ، لأنها مواد الحياة الحيوية، والتي ليست الحياة بدونها تستمر أبداً ، بل و دونها توشك الحياة أن تتوقف.. والمفردات الثوابت مثل : النار، الماء ، الخبز، الحرارة ، البرودة ، الحياة ، الموت ، الجوع ، العطش ، الخوف ، الأمن .... إلى آخر مئات المفردات الأخرى..

ثم إن للدين دوراً مهماً جداً في إقرار الثوابت من المفردات، وإعطائها القوة – واستطيع أن أقول : القوة المطلقة – في البقاء، ومقاومة أي قوة إلى إهمالها ، وذلك لأن المفردات الثوابت هي من صلب المنهج الإلهي ، بدونها لا يمكن إقرار المعاني ، وتصوير الأغراض وتقديمها، وإبلاغها وإيصالها.. من مثل : الجنة ، جهنم، القيامة ، العذاب ، الجزاء ،

المؤمن، الكافر ... وقبل كل هذه المواد اللغوية الثوابت لفظ الجلالة: الله قُدست أسماؤه وصفاته كلها ...

المفردات الثوابت في قوتها ومتانتها ، وبقائها وعدم زوالها بزوال الأجيال والعصور والأزمان ، إنما يأتي من ذلك المعنى أن تلك المفردات بمثابة الأعمدة الثوابت للغة التي بنيت عليها بناء اللغة .

١٢- من دواعي الاستعمال و الإهمال: الاستحياء:

الحياة مواقف متعددة، تعدد الأغراض والأهداف والأعمال والحاجات .. واللغة في جُعبتها تزود الإنسان بكل ما يريد من الألفاظ والمفردات والكلمات ، ليؤدي بها مرامه ، وأهدافه ، وغاياته ؛ ولكنه مع ذلك ، هناك مواقف تحول دون ذكر الكلمات الصُّراح للدلالة على الأشياء، أو للتعبير عن تلك المسائل التي تخدش الحياء – نسبة ما – أو تجعل من الإنسان أن يستحي من ذكرها والتلفظ بها ، أو تضعه في موقف حرج . فيميل الإنسان عن الذكر، بل و يلتجيء إلى إعداد ألفاظ وذكر مفردات أخرى، وهي غامضة – نوعاً ما – ولكنها مع ذلك واضحة ، وهي تعبّر ، وتدلل، ولكن مع وضع سياج لغوي يحول بين الكشف والاستتار، ومن هنا ، فقد أدرك الإنسان أنه يجب عليه أن يُهمل كلمات وألفاظاً، ويستعمل أخرى في هذا المجال . ففي (أعضاء الجسد الإنساني في اللغة) ... كثير من المحظورات ، والطرائف في استعمال ألفاظ دون أخرى في الدلالة على أعضاء معينة في جسد الإنسان ،فهناك ((التورية ، وهي عمل بلاغي صرف، يستعمله الإنسان العادي في حياته اليومية ، ليهرب من التصريح بألفاظ ذات دلالة على بعض أعضاء جسده، سواء أكان المستعمل ذكراً أم أنثى ؛ فأساليب استعمال التورية في الحياة اليومية موضوع لغوي شائق ، وإن كانت أصوله بلاغية)) [١٠٠]

لاشك أنه في هذه الأحوال ، لابد من استعمال للمفردات المناسبة، واهمال لأخرى وهي غير مناسبة ، حسب ضرورة الموقف المتطلب البحث والتحدث عنه ، والإشارة إليه ..

١٣- من دواعي الاستعمال والإهمال: هجر المستعمل وإهماله وقبول المهمل وإعماله:

إن استفراغ المفردة ، أو الكلمة، أو اللفظة،أو المصطلح اللغوي من عطائه اللغوي ، ومن شحنته من المعنى في اللغة ، في الآن،و في الحاضر، ليس معناه أنه قد انتهى كل شيء ، وكل عطاء لغوي من هذه المفردة ، ومن هذا اللفظ.

هناك مستعمل من الألفاظ قد يُهجر ، و يُهمل ، وذلك لنفاد الحاجة إليه ، لأن الدلالات التي تتضمنها تلك الألفاظ والكلمات قد ضعفت ، أو انقضت ، ولا تلبي المطالب اللغوية ، لأنها مرتبطة بحاجات ، وقد تغيرت تلك الحاجات، وحلّت محلها حاجات جديدة، وحديثة ، والأسباب في ذلك كثيرة ، إما لأن هذا المستعمل الذي يهجر ، لا يتذوق دلالته التذوق اللغوي التام كثير من الناس ، وذلك اعتماداً على الذوق العام لأصحاب اللغة الأم ...

أما العلماء اللغويون القدماء الذين أرسوا القواعد الأساسية للغة العربية ، وأحاطوا بفقه جيد للغة، فقد سلكوا طرقاً سليمة صحيحة تتناسب وطبيعة اللغة العربية.. وفي التعامل مع مسألة الاستعمال والإهمال، اتخذوا منهجا فريداً بإزائهما، كما بحث ذلك باحث من المحدثين بقوله :((الاستعمال في العربية على نوعين : مهجور قد يستعمل ، ومستعمل قد يُهجر، واحتفاظ علمائنا بالنوع الأول كأنه إرهاص لإحيائه ، وفي هذا كانت المزية للعربية ، إذ لا تحتفظ سائر اللغات الا بالنوع الثاني ، وهو مهدد بالهجران ، معرض لقوانين التغير الصوتي ، فإذا أميت بالهجر لم يكن في طبائعها ما تعوض به المهجور الجديد بمهجور قديم ، فتضطر إلى الاستجداء من لغات أخرى، وأحياناً إلى غصبها ، والسرقة منها)) [١٠١]

إن الاستعمال والإهمال في كثير من المفردات – لا كلها – إنما يجري التعامل على أساسهما في الاستفادة من معطيات الكلمات اللغوية ، ومعنى هذا ، أن الإهمال التام ، بمعنى هجر المفردات ، ومن ثم إلغائها ، فإن هذا غير وارد في العربية ، لأنه إذا أخذنا بالمبدأ القائل الذي يقوله المؤرخون : بأن التأريخ يُعيد نفسه ، فإن الحياة قد تتطلب إعادة مفردة أو مفردات إلى طاولة البحث والاستعمال ، وقد أهملت ، لأن واقعاً حياتياً حال دون استعمالها ، فكانت الضرورة أن تنحَّى جانباً، ولكن ليس معناه ترقين قيد تلك الألفاظ من المعجمات العربية .. فكلما دعت الحاجة ، تعاد الألفاظ المهملة إلى ميدان الاستعمال اللغوي لتؤدي دورها في حياة العربية مرة أخرى .

١٤- من دواعي الاستعمال و الإهمال: الإماتة:

هناك عملية إماتة لأفعال موجودة في العربية ، ولكنها إماتة ظاهرية ، لأنها يستعمل بدلاً منها تراكيب جديدة تتضمن جذور الأفعال المُماتة . وبذلك يحدث ميلاد جديد من موت ظاهري . ومن هذا الإنجاز اللغوي الرائع ، تتقوى اللغة الأم بالصياغات والتراكيب الجديدة . جاء في المزهر عن ابن دريد قوله : ((قال في الجمهرة : قالوا : تق تقا ثم أُميت هذا الفعل ، ورُدَّ إلى بناء جعفر ، فقالوا : تَقْتَقَ ، وقالوا : تَقْتَقَ الرجلُ من الجبل ، إذا انحدر يهوي على غير طريق .

***واستعمل ألْهَثَ ، ثم أُميت ، وأُلْحِقَ بالرباعي في الهَشْهَشَة : وهو اختلاط الأ صوات في الحرب ، أو في صخب . قال الراجز: * فَهشْهشوا فكَثُر الهشهاتُ ***

***واستعمل ألقح ، ثم أميت ، وألحق بالرباعي ، فقيل : القُحقُح ، وهو العظم المطيف بالدُّبر.**

*** واستعمل الجع ، ثم أميت ، وألحق بالرباعي في : جَعْجَعَ، والجَعْجَعةُ القعود على غير طمأنينة .**

*** واستعمل الكح، ثم أميت ، وألحق بالرباعي ،فقيل :كُحْكُحْ ، وهي النَّاقة الهَرِمَةُ التي لا تحبسُ لُعابَها.**

*** واستعمل ألْذَعَ ، ثم أميت، وأَلحق بالرباعي، فقيل: ذَعْذَعَ الشيْءُ ، إذا فرَّقه .**

***وأميت شحعَّ يشعّ، وقيل : شَعْشَعَ .**

*** وأميت شَخغَّ، وقيل : شغْشَغَ)) [١٠٢]**

إن الإماتة والإحياء اللغويين ، إنما تأتيان من حركة التطور اللغوي ؛ والحركة التطورية هذه ، إنما تأتي في جانب منها ، من الذوق اللغوي السليم والرفيع ، ومن ثم حلاوة المنطق بالكلمة ،وبعد ذلك من اختيار الحروف المتناغمة لتكوين كلمة . مثال ذلك : رفَّ أميت ، واستعمل : رَفْرَفَ . فهذا أحلى ، وأندى ، وأعذب . كما وسبقت الإشارة إلى هذه الصياغات فيما نُقلت عن الجمهرة .

وقد جاء فيما تحدث الرافعي عن هذا الأمر ، في أبحاثه في اللغة أن العرب إذا أماتوا كلمات وألفاظاً جاؤوا بأخرى ، فيقول : ((المُمات : ما أُميت استعماله ، كأسماء الأيام والشهور في اللغة الأولى على ما زعموا ...)) (١٠٣)

وقد نقل هو عن ابن دريد في الجمهرة، بخصوص أيام الأسبوع وكذلك أسماء الشهور ، حيث غيرت أسماؤها بأسماء جديدة ،وذلك بإماتة الأسماء القديمة ، وهي :

أسماء أيام الأسبوع :

قديماً: شيار أول أهون و أوهد جُبار دُبار مونس عَروبة

الجديد: السبت الأحد الاثنين الثلاثاء الأربعاء الخميس الجمعة

وفي أسماء الشهور :

قديماً: المؤتمر ناجر خوان رِبْصان الحنين ربى

الجديد: المحرم صفر ربيع الأول ربيع الآخر جمادى الأولى جمادى الآخرة

قديماً: الأصم عاذل ناتق وعل ورْنة برك

الجديد: رجب شعبان رمضان شوال ذو القعدة ذوالحجة)) (١٠٤)

١٥- من دواعي الاستعمال و الإهمال : توالي المقاطع القصيرة في النثر وعدمها في الشعر العربي:

النثر و الشعر ، هما الوسيلتان للتعبير ؛ ولكن لكل وسيلة خصائصها وأساليبها . فالنثر يسمح للناثر التعبير بحرية وطلاقة، بحيث إنه بإمكان الناثر استخدام العبارات القصيرة والطويلة ، بل ((توالي ثلاثة مقاطع قصيرة ، أو أكثر في كلمة واحدة ، أو في كلمات متتالية)) (١٠٥) وذلك للوصول بها إلى الغاية المرجوة التي يريدها الناثر.

ولكن ذلك ((لا يمكن أن يحدث في الشعر ...، في أي بحر من البحور بحال من الأحوال)) (١٠٦) ، وذلك لما في الشعر ((من قيود الوزن والقافية ، قد تمتنع فيه أشياء تجوز في النثر ، كما قد تؤدي ضرورة الوزن في بعض الأحيان إلى ابتداع نوع من الأسلوب الذي لم يألفه النثر ، بل ربما قادت تلك الضرورة إلى توليد الصيغ والألفاظ في أحيان أخرى)) (١٠٧)

ومن هنا ، بالإمكان أن نلمس آثار عدم تقبل الشعر لتوالي ذلك العدد من المقاطع القصيرة، أي إهمالها، وهي بالإمكان استعمالها في النثر:

١- إنه ((لا يرد في الشعر العربي الصّيغ الاسمية التالية ، مضافة إلى ضمير المخاطب :

فَعِل، مثل : كَتِف

و فَعَل ، مثل : قَلَم

وفِعَل ، مثل : قِرَب

وفُعُل ، مثل : فُرُش

وفُعَل ، مثل :حُجَج)) (١٠٨)

وبناء على ذلك ، فإنه لا تأتي صيغ مثل :

كَتِفك ، وقَلَمك ، وقِرَبكَ ، وفُرُشكَ، وحُجَجكَ ،في الشعر العربي ؛ في حين وهو جائز في النثر العربي . (١٠٩)

*وللتخلص من توالي المقاطع القصيرة، يعمد الشعراء إلى : ((تسكين لام : ((مَلْك)) بدلاً من تحريكها فرارا. مثال ذلك: قول عمرو بن كلثوم :

إذا ما المَلْكُ سامَ الناسَ خَسفاً أبينا أن يُقِرَّ الخَسْفَ فينا)) (١١٠)

*وكلمة (رجل) وهي مفردة ، قليلة الورود في الشعر ، كثيرةالورود في النثر ؛ مثال ذلك :

قول طرفة:

أنا الرجل الجعد الذي تعرفونه خشاش كرأس الحيَّة المتوقِّدِ (١١١)

*بينما يكثر ورود كلمة (مَرْء) في الشعر ،وهي قليلة الورود في النثر. مثال ذلك ، قول : عمرو بن أحمر الباهلي :

أُرَجِّي شباباً مُطْرَهِمَّاً وصِحَّةً وكيف رجاءُ المرءِ ما ليس لاقيا (١١٢)

*ولغرض الابتعاد عن ورود ثلاثة مقاطع قصيرة متوالية ، عدل النابغة الذبياني عن استعمال : ((أربع ليالٍ)) نظراً لتضمنها ثلاثة مقاطع قصيرة متوالية ، فأهملها ، وعوضها بعبارة أخرى ، فيقول :

باتتْ ثلاثَ ليالٍ ثم واحدة بذي المجاز تُراعي منزلاً زيَمَا (١١٣)

* لا يستخدم الشاعر العربي كلمة (سنة) مع العدد ، بل يعمد إلى استخدام (حجة) مع العدد ، وهذا نادر وروده في النثر ، ففراراً من توالي ثلاثة مقاطع قصيرة في (عشرين سنة) على سبيل المثال ، يستخدم الشاعر عبارة : (عشرين حِجَّةً) كما في قول لبيد :

رعى خَرزاتِ المُلْكِ عشرينَ حِجَّةً وعشرين حتى فاد والشَّيبُ شامِلُ (١١٤)

الخاتمة

الاستعمال والإهمال جزء كبير من المشروع اللغوي الواسع الكبير الذي يُتخذ سليقة وفطرة ، أو عِلماً وكسباً، وهو ما نجده في تأريخ العربية ، حيث جرت هاتان العمليتان ، فكانت اللغة العربية في عطاء دائم ، وجمال دائم ، وحيوية قائمة ، لأن من أهم فوائد الاستعمال والإهمال التجديد الدائم ، وعدم تقادم اللغة .. فهي دائمة التلبية لمتطلبات الحياة المختلفة ...

ثم أن اللغة دائمة الشباب ، فهي تتدفق حيوية ونشاطاً مما تسمح بأن تجري الحياة في مجاريها الصحيحة والطبيعية .. فالتغير الحاصل الذي يحدث في اللغة من طريق الاستعمال والإهمال يدل دلالة قوية على أن اللغة حية ، معطاءة، في مكامنها ومخزونها الكثير من المفردات والألفاظ ، لتكون دليلاً على المعاني المجردة أو المشخصة ، ومن ذلك فإنه يعني أن اللغة هي مادة الأحوال كلها بداوة وحضارة قديماً وحديثاً، ماضياً وحاضراً ومستقبلاً..

ومن أهم الفوائد الجمة التي يقدمها الاستعمال والإهمال ،هي أن هذا المشروع يؤدي باللغة الى الوحدة اللغوية بين جميع أبناء الأمة، مما يعني ذلك الوحدة السياسية والوحدة الاجتماعية وغيرها من مجالات حياة الأمة ، وخير من يفسر هذه الحالة التي يُبرزها الاستعمال

والإهمال ، هو الدكتور إبراهيم أنيس حين يقول : ((وليست تتم الوحدة السياسية ، وتستقيم النظم الاجتماعية في شعب من الشعوب ، الا على أساس الوحدة اللغوية التي تصبح للشعب بمثابة رباط سحري يجذب أفراده بعضهم البعض ، ويوثق الصلة بينهم، فيفكرون في عقل واحد ، ويشتركون في مشاعر وأحاسيس موحدة ، ويتعاونون على ما فيه خيرهم جميعاً ، وما يكفل لهم الأمن والاستقرار والرجاء ..

ولا تكون تلك الوحدة اللغوية ، إلا في لغة مشتركة للشعب تنتظم الناس كافة ، فيتطلع كل منهم إلى إتقانها والسيطرة عليها نطقاً وأداءً ...)) [١١٥]

ومن خلال الاستعمال والإهمال اللغويين ، هناك الأمن اللغوي ، الذي يجعل اللغة في أمن وأمان دائمين ، من تدسيس وتسلل ألفاظ وكلمات تضر باللغة من خلال دلالاتها ومعانيها ، بل وأن اللغة لا تضطر إلى استجداء الألفاظ والكلمات واقتراضها من لغات أخرى ، حتى لا يجعل أفراد الأمة في موقف ، وهم ينظرون إلى لغتهم وكأنها لغة دخيلة عليهم ، حين يستغنون عن ألفاظ لغتهم، و يستعينون بألفاظ أجنبية في الأحاديث اليومية ، أو في الكتابة ، إما تقليدا للأجنبي ، أو كون اللفظة سلسلة سهلة على اللسان، أو إظهاراً لمعرفة لفظة أجنبية ..

فكلما تستنفد طاقات الألفاظ والمفردات ، وتتفرغ عن شحناتها الدلالية والمعاني اللغوية ، ولا تعود بالفائدة على اللغة بعد ، بل وتنقضي آجالها ، تستنجد بالاستعمال والإهمال ، وتؤتى بألفاظ تحلَ محل الألفاظ المستنفذة طاقاتها ، ليعتدل ميزان اللغة من جديد، وتبدأ اللغة مسيرتها الطبيعية في العطاء والتقديم.

ثم إن الاستعمال والإهمال في العربية ، جزء من مشروع المنهج المعياري للغة العربية ، ذلك المشروع اللغوي العظيم الذي شرعه ، وبناه العلماء العظام للعربية في القرون الأولى لكتابة القواعد الأساسية للعربية ، وبجهودهم المباركة صانوا العربية من الضياع ، وحافظوا على وحدة وسلامة العربية .. والوحدة السياسية للأمة الإسلامية ...

إن العربية أرض خصبة ، لا تموت ، ولا تجف نبتة لغوية فيها إلا وتنبت نباتات لغوية طرية حية أخرى ، تجعلها خضراء دائمة ، ريّانة على مدار عمر اللغة والأمة ..

والحمد لله أولا و آخراً ...

الهوامش

١- لغات البشر : ص.٢

٢- نفسه : ص٢٧

٣- نفسه : ص٨٢

٤- محاضرات عن مشكلات حياتنا اللغوية : ص٥٧-٥٨ .

٥- نفسه : ص٥٧-.٥٨

٦- اللغة : ص.٢٤٧

٧- اللغة بين القومية والعالمية : ص.٧

٨- نفسه : ص٧ . وينظر: دلالة الألفاظ العربية وتطورها ص١٩-٢٠

٩- دلالة الألفاظ العربية وتطورها : ص١٩-٢٠

١٠-مجلة الأقلام: تطور الدلالة في المفردات . ترجمة أدور يوحنا

١١- محاضرات عن مشكلات حياتنا اللغوية : ص٥٧-٥٨

١٢- ينظر : أ- محاضرات عن مشكلات حياتنا اللغوية (أمين الخولي): ص٥٧-٥٨

ب- في اللهجات العربية (د.ابراهيم أنيس): ص١٨

ج- دلالة الألفاظ العربية وتطورها (د.مراد كامل): ص٢٠

١٣- تأريخ آداب العرب : ج١ص.٨٧

١٤- نفسه : ج١ص.٨٧

١٥-نفسه : ج١ص٨٧

١٦-نفسه : ج١ص٩٢

١٧-نفسه : ينظر : ص٩٢ وما بعدها.

١٨-نفسه : ج١ص٩٣-.٩٤

١٩-نفسه : ج١ص٩٣-.٩٤

٢٠-نفسه : ج١ص.٩٧

٢١-نفسه : ج١ص.٩٧

٢٢-نفسه : ج١ص.٩٧

٢٣-نفسه : ج١ص.٩١
٢٤- موسيقى الشعر : ص٣٠
٢٥-نفسه : ص٢٨-.٢٩
٢٦- الخصائص : ج١ص.٥٥
٢٧-نفسه : ج١ص.٥٥
٢٨- المزهر : ج١ص.١٤٣
٢٩- الخصائص : ج١ص.٥٥
٣٠- المزهر : ج١ص.١٤٣
٣١- الصاحبي في فقه اللغة : ج١ص١٦
٣٢- المزهر : ج ١ ص١١٧-.١١٨
٣٣- الجمهرة : ج٢ص.٢١٤
٣٤- موسيقى الشعر : ص٢٣
٣٥- الخصائص : ج١ص.٥٥
٣٦-نفسه : ج١ص.٥٥
٣٧-نفسه : ج١ص.٥٥
٣٨-نفسه : ج١ص.٥٦
٣٩-المزهر : ج٢ص.١
٤٠-الجمهرة : ج٢ص٢١٤
٤١- نفسه : ج١ص٣٥٧ نفس الموقع
٤٢-الخصائص : ج١ص٢٦٧، ص١٠٠.وينظر كتاب سيبويه:
ج٢ص١٩١،ص١٩٢/ طبعة بولاق
ج١ص٢٥/ عبدالسلام هارون ، وقرأ بها عروة
بن الزبير، ينظر: التبيان في إعراب
القرآن،لأبي البقاء العكبري٢/١٥٥
٤٣-نفسه : ج١ص.٣٩٢

٤٤-تصحيح الفصيح : ج١ص١٤٢

٤٥- المزهر : ج٢ص٤٦

٤٦-تصحيح الفصيح : ج١ص١١١،وينظر: المزهر: ج٢ص.٤٦

٤٧- الخصائص : ج١ص.٥٦

٤٨-نفسه : ج١ص٥٦

٤٩-نفسه : ج١ص٥٦

٥٠-نفسه : ج١ص٥٧

٥١-نفسه : ج١ص٦١

٥٢-نفسه : ج١/٦١

٥٣- نفسه : ج١ص٦٢-٦٣.

٥٤- نفسه : ينظر : ج١ص٣٤

٥٥- في اللهجات العربية : ص١٦٥

٥٦- الخصائص : ج٣ص٨٤-٩٠ ، وينظر : موسيقى الشعر: ص.١٦٧

٥٧-نفسه : ص ١٨٥

٥٨-نفسه : ص١٨٤-١٩٢

٥٩- موسيقى الشعر : ص٣١. وينظر: الخصائص: ح٣ص١٥٤-١٧٠

٦٠-نفسه : ص.٣١

٦١-نفسه : ص٣١-٣٢

٦٢-فقه اللغة : ص٦١. وينظر : نظرية النظم: ص٣١-٣٢

٦٣- المزهر : ج١ ص١٢٠

٦٤-نفسه : ج١ص١٢٠ وللبيت ينظر: ديوان جرير ٦٦٦/١ و عجزه:
و هنَّ أضعف خلق الله أركانا

٦٥-نفسه : ج١ص١٢٠

٦٦-نفسه : ج١ص١٢٠ و للبيت ينظر: ديوان أبي تمام ٦١٦/١ و عجزه:
كانوا برود زمانهم فتصدعوا

٦٧–نفسه : ج١ص١٢٠

٦٨–نفسه : ج١ص١٢٠

٦٩–نفسه : ج١ص١٢٠

٧٠–نفسه : ج١ص١٢١

٧١–نفسه : ينظر ج ١: ص١٣٣–١٣٤. وينظر: الخصائص: ج٢ص١٣

٧٢–دراسات في فقه اللغة : ص٦٧

٧٣–نفسه : ص٧

٧٤– المزهر : ج١ص١٢١

٧٥–دلالة الألفاظ العربية وتطورها : ص٢١

٧٦–نفسه : ص٢١

٧٧–نفسه : ص٢٢

٧٨–نفسه : ص٢٢

٧٩–نفسه : ص٢٢

٨٠–ينظر المعجم العربي نشأته وتطوره: ج١ص٤٠

٨١– الخصائص : ج٢ص١٢–١٤

٨٢–نفسه : ج٢ص١٢

٨٣–نفسه : ج٢ص١٢

٨٤–نفسه : ج٢ص١٢

٨٥–نفسه : ج٢ص١٤

٨٦–تأريخ آداب العرب : ج١ص١٦٧

٨٧–نفسه : ج١ص١٦٦–١٦٧

٨٨–نفسه : ج١ص١٦٦–١٦٧

٨٩–نفسه : ج١ص١٦٧–١٦٨

٩٠– نفسه : ج١ ١٦٧– ١٦٨

٩١– دراسات فقه اللغة : ص٢٩٢–٢٩٣،وينظر: اللغة لظندريس ص٢٤٢

٩٢- وردت في النص الموجود . والمأخوذ من (دراسات في فقه اللغة) كلمة (كأس) بدلاً من كلمة (المائدة) سهواً، وهي الصحيحة. لذلك ، فقد صححنا عند الأخذ . وجاء في (مختار الصحاح) للرازي صحة ما أوردناها وصححناها في النص المأخوذ، في باب الحرف (م) ص٦٤٠ : ((المائدة : وهي خوانٌ عليه طعام، فإن لم يكن عليه طعام، فهو: خوانٌ، لا مائدةٌ)).

٩٣-دراسات في فقه اللغة : ص٢٩٨

٩٤- النحو العربي والدرس الحديث : ص٨٢

٩٥- في اللهجات العربية : ص١٩٧

٩٦- تأريخ آداب العرب : ج١ص١٦٨

٩٧-نفسه : ج١ص١٦٨

٩٨-ا اللغة العربية معناها ومبناها : ص٣٢٢-٣٢٣

٩٩- فقه اللغة : ص٦١

١٠٠- جريدة الشرق الأوسط/جريدة العرب الدولية: المكبوت و المقموع من الكلام

١٠١- دراسات في فقه اللغة : ص٢٩٣

١٠٢- المزهر : ج١ص٤٦-٤٧ ينظر للرجز: اللسان مادة(هشث) وفيه نسب إلى العجاج، وصدر البيت: وأمراءُ قد أفسدوا فعاثوا

١٠٣- تأريخ آداب العرب : ج١ص١٦٨

١٠٤- نفسه : ج١ص١٦٩

١٠٥-فصول في فقه العربية : ص١٥٨

١٠٦-نفسه : ص١٥٨

١٠٧-نفسه : ص١٠٨

١٠٨-نفسه : ص١٥٨

١٠٩-نفسه : ينظر ص١٥٨

١١٠-نفسه : ص١٥٩ ينظر لبيت عمرو بن كلثوم دواوين الشعر العربي على مر العصور ج ٤٨/ ٨ و عجزه: أبينا أن يقر الخسف فينا

١١١–شرح القصائد السبع : ص٢١٢
١١٢– لسان العرب مادة (طرهم) : ج٥ص٣٥٥
١١٣–ديوان النابغة الذبياني : ص١٠٩
١١٤–ديوان لبيد : ص٢٦٦
١١٥– اللغة بين القومية والعالمية : ص٧

المصادر و المرجع

– تأريخ آداب العرب ، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان ط٤ ، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م
– التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء العكبري،تح: محمد علي البجاوي،دار إحياء الكتب العربية
– تصحيح الفصيح، عبدالله بن جعفر بن درستويه ، ٣٤٧هـ ،ج١،تحقيق: عبدالله الجبوري، مطبعة الإرشاد ، بغداد، ١٩٧٥
– الخصائص ، ابن جني، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط٤ مزيدة ومنقحة ، تحقيق : محمد علي النجار
– دراسات في فقه اللغة، د. صبحي الصالح ، دار العلم للملايين ، ط٩ ، بيروت ،تموز ١٩٨١
– دلالة الألفاظ العربية وتطورها، محاضرات ، د. مراد كامل ، ١٩٦٣
– ديوان لبيد بن ربيعة العامري ،تحقيق الدكتور إحسان عباس ، الكويت، ١٩٦٢م
– ديوان النابغة الذبياني.صنعة ابن السكيت،تحقيق الدكتور شكري فيصل، بيروت ١٩٦٨م
– شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات،لابن الانباري، تحقيق عبدالسلام هارون ، القاهرة ١٩٦٤م
– صحيح البخاري(الجامع الصحيح المختصر) ، تح: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير،اليمامة – بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م

- فصول في فقه العربية ، د.رمضان عبد التواب ط٢، مكتبة الخانجي بالقاهرة ،،دار الرفاعي بالرياض ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م
- فقه اللغة، د.حاتم صالح الضامن، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي،جامعة بغداد
- في اللهجات العربية ، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٣، نوفمبر ١٩٦٥
- الكتاب ، سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، عالم الكتب ، بيروت.
- لسان العرب ، ابن منظور ، ٧١١هـ بيروت، ١٩٦٨
-لغات البشر ، ماريوباي، ترجمة، صلاح العربي، قسم النشر بالجامعة الأميركية ، القاهرة
- اللغة ، فندريس ، تعريب ، عبدالحميد الدواخلي و محمد القصاص ، الناشر، مكتبة الأنجلو المصرية ، مطبعة لجنة البيان العربي
- اللغة بين القومية والعالمية، د. إبراهيم أنيس ، دار المعارف بمصر
- اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، دار الثقافة ، الدار البيضاء، ١٩٧٣م
- محاضرات عن مشكلات حياتنا اللغوية، أمين الخولي، معهد الدراسات العربية العالية، جامعة الدول العربية ١٩٥٨
- مختار الصحاح ، الرازي ٦٦٦هـ ، دار الكتاب العربي ، بيروت، لبنان، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م
- المزهر في علوم اللغة، السيوطي ٩١١هـ ، تحقيق، جاد المولى وأبي الفضل والبجاوي ، القاهرة ١٩٥٨
- المعجم العربي نشأته وتطوره، د. حسين نصار، دار الكتاب العربي ، مصر ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦م
- موسيقى الشعر، د. ابراهيم أنيس ،دار القلم ، بيروت، لبنان ١٩٧٢
- النحو العربي والدرس الحديث ، د. عبده الراجحي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٩م
- نظرية النظم تأريخ وتطور، د. حاتم صالح الضامن، بغداد ١٩٧٩

الانترنيت:

– ديوان أبي تمام المتاح على موقع المكتبة الشاملة www.alshamila.com

–ديوان جرير المتاح على موقع المكتبة الشاملة

– دواوين الشعر العربي على مر العصور المتاح على موقع المكتبة الشاملة

–الجمهرة، لابن دريد، المتاح علي موقع الوراق، ترقيم آلي
www.alwarraq.com

–الصاحبي في فقه اللغة، أحمد بن فارس ٣٩٥هـ من موقع الوراق/ترقيم آلي
www.a/warraq.com

الدوريات:

– تطور الدلالة في المفردات ،ترجمة: أدور يوحنا ،مجلة الأقلام العدد: ٤ السنة ٧ آيار ١٩٧١

– المكبوت والمقموع من الكلام ، جريدة الشرق الأوسط،جريدة العرب الدولية، العدد ٩٧٨٠ ،٤ شعبان ١٤٢٦هـ،٧ سبتمبر ٢٠٠٥.